محكومة ايضا بقانون الصهيونية الابدي : اللاسامية « وهز الضابط الحديد وبدأ يعاكس مصريا مدننا اغنية مصرية ... ، مستهدفا من ذلك مداعبة المصري . وعندما يلتفت الضابط الى ابراهام تتلاشى طيبته وتستحيل الى أحتقار صامت » فالعلاقة بين العربي والانجليزي علاقة مودة ، في حين ان علاقة الاخير باليهودي علاقة حقد وكراهية واحتقار . لذلك فاليهود يعانون من ارهاب بريطاني اسود .

فحالما وضع فرد وابراهام اشرطة احذيتهم واحزمتهم الجلدية احاط بهم اربعة رجال بوليس مسلحين بالرشاشات . حدث كل شيء بسرعة وبمنتهى النظام ، فقد اعطيت الاوامر باشارات وعبارات قصيرة تكاد لا تسمع . يخرجان الى الساحة محاطين بأربعة مسلحين حيث يقادان الى مصفحة . اجلسوا كلا منهما مقابل الاخر ، وفي جانب كل منهما كان يجلس جنديا متخفرا » .

معنى ذلك ان اليهود كانوا عرضة لعسف انجليزي بلا نظير « فحسب قرار الاتهام ، فان الارهابيين الثلاثة ، كانوا يلبسون هندام البوليس البريطاني ودخلوا الى مخفر كاستينا . ويعتقد ان هدفهم كان اثناء الحرس وسرقة السلاح » فالصهاينة كما نرى يقومون بعمليات فدائية ، ويتم عملهم « الفدائي » هذا في ظروف صعبة ، فحتى السلاح يعوزهم .

وتأخذ صورة « الفدائي الصهيوني » طابع الشهادة امام جبروت المحتل . «ليس عند المتهمين ما يقولونه . ترفع المحكمة جلستها ، وبعد ربع ساعة من المشاورات تصدر حكمها بالاعدام شنقا . ولم يطالب المتهمون المحكمة بالرحمة » ص ١٥٩ .

فالصهيوني يجثم تحت يد الارهاب واللاسامية في نضاله من اجل استعادة ارضه المصبوغة بحلة صوفية سرمدية « نحن لم نعد في اليمن ، وليبارك اسم الحي الابدي ، ولكن نحن فوق ارض اسرائيل . وفوق أرض اسرائيل وجد كل شيء وسيوجد كل شيء ، منذ البدء حتى نهاية الزمان . ينخفض ويتبل الارض » اما تل ابيب « فبيوتها بيضاء كالحليب ، كن سعيدا ومتع نفسك في تل ــ أبيب » .

وهكذا تستحيل فلسطين في الرواية الى ارض قدسية ولكن يهودية ، فالعرب فيها ليسوا الا ذرات متفرقة مجهولة ، تقف متفرجة وتغوص في بحر الصمت امام الصراع . ومع ان الكاتب كما رأينا يتكلم في مقدمته عن اقتتال الاشقاء ، الا ان هذا الاقتتال غائب في الرواية ، فمحور مسار اليهودي لا يتأتى الا من « المحتل البريطاني » حيث ان الاخرين ــ العرب ــ ذات صامتة . وعندما يكون لها دور فمن خلال تعاونها مع المحتل البريطاني ، فـ « عبد بداوي » يعمل في مخفر بريطاني .

ان قراءة ايديولوجية لسطور الرواية تعزل كل مركبات الايدولوجيا الصهيونية الرسمية وكل تخريجات الدعاية الصهيونية . فظهور اسرائيل يمثل حركة تحرر قومي تم بعد طرد الغزاة ، ونضال اليهود لم يكن موجها بالاصل للعرب ــ على اية حال لم تكن الحاجة تدعو الى ذلك في نظر الكاتب ــ بل ضد الوجود الخارجي ، كما تقبع اللاسامية في كيان كل بريطاني . اكثر من ذلك ان ابراهام بوجاتير كان يذرع سهوب فلسطين وسهولها دون كبوة او عثار اللهم الا عسف الانجليزي .

بقي ان نعلم ان رواية كاردوس ظهرت في اهم دار نشر في فرنسا وفي سلسلة الروايات العالمية الجديرة بالترجمة !! على اية حال فان بؤس التضليل لا يجد دمنة صالحة الا ضمن حقل ايدولوجي احترف قصم ظهر الحقيقة ، وفرنسا تحتضن هذا الحقل وترعاه .

الدكتور فيصل دراج